

الإبلائية لغة مدونة في وثائق ملكية

د. بسري الكحل

خلفت لنا الحضارة الإبلائية ، التي عاشت في سورية في الالف الثالث قبل الميلاد، سجلات يزيد عددها على ستة عشر الف رقيم، مكتوبة بكتابة مسمارية مقطعية، تحكي قصة هذه المملكة واحداث عصرها . فأين وجدت هذه المخلفات ..؟ وعم تتحدث ..؟ وبأي فترة كتبت ..؟ وما هي اللغة التي دونت بها ..؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه في مقالنا هذا .

لسنوات قليلة خلت ، كان علماء الآثار والحضارات الشرقية ، متفقين على ان سورية ، خلال العصر البرونزي القديم ، كانت بلادا واقعة تحت السيطرة الرافدية، وتحوي العديد من المدن والواحات التجارية ، التي كانت بمثابة صلة الوصل ما بين بلاد الرافدين ومصر ، او شواطئ المتوسط . وظل هذا الرأي سائدا على الرغم من العثور على عدة كتابات يرد فيها اسماء مراكز حضارية الى غربي الفرات . ولم تاخذ هذه الوثائق أهميتها الحضارية الا فيما بعد .

كان مجد الحضارة السورية عند علماء الاشوريات ، يبدأ من ماري في عصر زيميرليم (الفترة البابلية القديمة) ، حيث جلبت المكتشفات الاثرية السجلات الملكية لماري ، والقصر الملكي العائد للالف الثاني قبل الميلاد (١) . وحتى هذا الكشف اعتبر بشكل او باخر رافديا ، لان ماري كانت تخضع أحيانا للسيطرة الرافدية ، لاهميتها كموقع متقدم على الحدود الرافدية . وتلا هذا مجد اوغاريت وابجديتها العالمية ، ونادوا ما تذكر كتب الشرق القديم ، حتى الحديث منها ، وخاصة المؤلفات باللغة

العربية ، الحضارة السورية الراقية التي عاشت قبل ذلك ، وتركز الاهتمام على حضارة بلاد الرافدين فقط ، خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد .

ان التنقيبات الأثرية المثمرة عن الحضارة السورية في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، لا يزيد عمرها على العشرين عاما . وقد بدأت بالكشف عن معابد قديمة على ضفة الفرات اليمنى ، أثناء عمليات انقاذ آثار الفرات عند بناء السد ، على يد بعثة بلجيكية (٢) وقد اعتبرت آنذاك اثارا سومرية ، وأصبح جليا ان هذا غير اكيد بعد الحفريات الأبلائية التي أجرتها في تل مردوخ البعثة الأثرية لجامعة روما .

وفي الحقيقة لعب الحظ والمصادفة دورا كبيرا في الكشف عن الحضارة الأبلائية ، وحتى البعثة المنقبة لم تكن تتوقع انها بصدد العثور على حضارة مهمة ، بل مملكة ضخمة . حتى ان اسم إبلا الذي ظهر على أكثر من قطعة أثرية في الموقع ، لم يكن يعني الشيء الكثير ، وان كان هذا الاسم قد ورد أكثر من مرة في وثائق رافدية ، منها هذان النصان لوثيقتين تعودان الى العصر البرونزي القديم (الألف الثالث قبل الميلاد) ، لاهم ملوك اكاد ، صارغون ونارام-سن ، يرد فيها ذكر مدن اجتاحتها خلال حروبهما ، وحددا مواقعها بأنها في الشمال باتجاه البحر .

يقول صارغون (٣) : « صارغون الملك ، سيسجد في صلاة في تيتول امام دجن . دجن قد اعطاه البلاد العليا : ماري ، يرماني ، إبلا ، حتى غابة الصنوبر وجبال الفضة » . ويقول نارام-سن (٤) : « أبدا منذ بدء الخليقة ، لم يستطع أي ملك من الملوك تدمير ارمانوم وابلا ، في ... » ، رجال قد فتح طريق نارام-سن القوي ، واعطاه ارمانوم وابلا وقدم له كذلك الامانوس ، جبل الارز والبحر العلوي وبفضل جنود دجن ، واشعاع مجده ، نارام - سن القوي ، هزم ارمانوم وابلا ، ابتداء من شاطئ الفرات حتى السوم ، لقد تحدى الاشخاص الذين وهبهم دجن له ، والذين سيحملون السلال لابا إلهه ، لقد سيطر على الامانوس وعلى غابة الارز » .

يبدو واضحا ، ان صارغون ، في وثيقته ، سرور بانتصاره على إبلا وماري ويرماني ، هذا النصر الذي اوصله الى غابة الارز وجبال الفضة . ولكن نصه قصير ، مما يدل على ان النصر كان مهما وليس حاسما ، أي ان إبلا ربما هزمت ولكنها لم تدمر ، كما ورد في نص حفيده نارام-سن الذي تبدو سعادته اكبر بنصره ، فهو قد دمر مدنا لم يستطع تدميرها أي ملك منذ بدء الخليقة ، وقد كرر فخره أكثر من مرة بهذا النصر ، وبدأ وثيقته بزهو عظيم . واما نتيجة انتصاره فهي كما ذكر جده ، كانت الوصول الى غابات الارز وجبال الفضة ، او بمعنى آخر الوصول الى منابع المواد الأولية .

وهنا يحضرنا السؤال التالي : هل كانت إبلا على درجة من القوة العسكرية والسياسية بحيث لم يستطع أي ملك من قبل تدميرها والانتصار عليها .؟ إذا صح ذلك فهو يقلل من قيمة نصر جده ، وهل كانت من القوة الاقتصادية بحيث سيطرت على منابع الثروة ، اذ على الأرجح قصد كلا الملكين بغابة الارز جبل لبنان ، وبجبل القضة بلاد الاناضول . هذه الاسئلة جعلت مؤرخي هذه الفترة يستبعدون ان تكون إبلا في سورية ، فالطبيعة الجغرافية لا تعطي هذه المؤهلات لمنطقة في سورية . دعم هذا الرأي وثيقة اخرى وجدت في الاياخ ، فاختلفت اراء الباحثين ، حول موقع إبلا ، وبقي لغزها ، والمدن الاخرى التي وردت في النص باستثناء ماري ، قائما ، كالكثير من الفاخ الحضارات القديمة ، وغاب عن الازهان ربط النصين السابقين مع اقدم خريطة في العالم ، عثر عليها في جصور (في العراق) تعود لفترة الامبراطورية الاكادية (نحو ٢٣٦٠ - ٢١٨٠ ق.م) ، ذكرت فيها إبلا تحت اسم (مشكن - دور إبلا) او (مشكن - باد - ابلا) ، الاسم الذي ربما كان الاسم السومري للمدينة(٥) .

استمر عمل بعثة تل مردوخ (إبلا) منذ عام ١٩٦٤ وحتى ١٩٧٣ دون الوصول لنتائج مشجعة . فقد تم الكشف خلال هذه المدة عن آثار مدينة تعود الى العصر العموري في المنطقة ليس في مخلفاتها ما هو فريد من نوعه ، ومع ذلك استمر عمل البعثة في التنقيب في الاعوام اللاحقة . وفي عام ١٩٧٤ تم العثور على اولى مخلفات الحضارة الابلائية وهي عبارة عن ٤٢ سجلا وثائقيا ملكيا ، آثار العثور عليها ضجة عالمية كبيرة على الصعيدين العلمي والصحفي ، وتعددت حولها الاراء . وهكذا غدا من المؤكد بالدليل ان ابلا المفقودة هي في سورية ، على بعد خمسة وخمسين كيلومترا جنوبي حلب ، وسبعة كيلو مترات جنوب شرقي سراقب ، في موقع تل مردوخ الاثري(٦) .

وبتتالي سنوات التنقيب ، اخذت الحضارة الابلائية ، عمارة وآثارا ، طريقها الى النور من جديد . كان هذا الكشف جميلا وجذابا للمهتمين والفضولين ، المفرض منهم والمخلص ، ومع هذا لم تكن إبلا قد قدمت اجمل ما فيها ، حتى عام ١٩٧٦ ، حيث تم العثور اثناء التنقيب ، وبطريق الصدفة ايضا ، على الكنز الذي لم يكن من ذهب او فضة ، بل اكبر قيمة واكثر فائدة ، انه سجلاتها الملكية المكتوبة بكتابة مسمارية مقطعية ، وهكذا توصلنا الى رسول صادق امين ، يحدثنا عما كان يجري منذ خمسة الاف سنة على ارض الشرق القديم ، وسيطول حديثنا عنه ستوات . فآين وجدت هذه السجلات ...؟ وما فحواها ...؟

وجدت هذه السجلات بكاملها في رحاب القصر الملكي المسمى (ج) ، الذي يعود الى سلالة اكريش - خلم التي حكمت ما بين (٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م) . بنى هذا القصر في قمة تل مردوخ ، مطلا على المدينة في هندسة فنية رائعة ووفق خريطة اعدت

سابقا ، مما هو جديد كل الجدة في عصره . وهذا موضوع لا مجال للحديث عنه الان .
تم العثور على السجلات ، بشكل اساسي في صالتين ، اولاهما كانت مخصصة لديوان
السجل وهي الصالة (ل ٢٧٦٩) ، وضمت اكبر عدد منها ، حيث قارب عدد ما جمع
حوالي (١٤) ألف رقيم ، حفظت على رفوف خشبية متتالية من اسفل الى اعلى تبعا
لثقلها وحجمها ، ورتبت تبعا لموضوعاتها ، والثانية هي (ل ٢٧١٢) حيث عثر على
(١٠٠٠) لوح ذات ملامح زراعية ، وهذه الصالة كانت عبارة عن مخزن وتقع خارج
القسم الاداري للقصر ، (٤٠٠) لوح تقريبا ذات ملامح اقتصادية وتاريخية ، وادارية
وجدت في بهو القصر في الصالة (ل ٢٨٧٥) ، (٥٠٠) لوح وجدت في القسم الشرقي من
الجناح الاداري للقصر ، ذات ملامح اقتصادية (ل ٢٧٦٤) ، كما وجدت حوالي (٢٠)
لوحة في ساحة القصر ، كانت حتما قيد الكتابة عندما هدم (٧) ، اذ يبدو واضحا جدا
ان القصر قد احرق على حين غرة ، فحتما لم يكن ملك إبلا يتوقع الهزيمة امام
مهاجميه ، وخراب مدينته واحراق قصره ، هذا ما كان له نتيجتان : احدهما سلبية ،
فقد فقدنا اجمل تحف وآثار القصر الفنية ، التي سرقت قبل احراقه ، وما ترك من
اثاث جميل كان خشبيا فاحترق . والثانية ايجابية تتمثل في كون نصوص الرقم
الطينية ، قد حفظها الحرق من البلى فشويت ، مما شوه منظرها ولكنه حافظ على
نصها وتماسكها .

وهكذا نلاحظ ان ما خلفته لنا الحضارة الابلائية من نصوص ، تناولت كل
مجريات الحياة اليومية في القصر الملكي ، الذي تعاقب على حكمه ستة ملوك من سلالة
واحدة ، هي سلالة اكريش - خلم ، الذي لا نعرف تماما (حاليا على الاقل) كيفية
وصوله للسلطة ، ودام حكم هذه السلالة زهاء ثلاثة قرون اعتلى عرش ابلا فيها على
التوالي بعد مؤسسها اكريش - خلم ابنه اركاب - دامو ، فابنه ايرانيوم ، وتلاه
ابريوم الذي سجل عهده الكثير من الانتصارات والامجاد ، تلاه ابي - سيبش ،
فدبوخاداد ، الذي يرجح كونه صغير السن عندما تولى العرش ، وفي عهده دمر القصر .

تميز ملوك هذه السلالة بانهم كانوا من كبار الموظفين قبل توليهم العرش ، وبمعنى
اخر كان كل واحد منهم وزيرا لوالده عندما كان ولي عهده ، وهنا لابد لنا من الاشارة
الى عدم صحة النظرية القائلة باغتصاب ابريوم للعرش بعد ايرانيوم ، اذ ليس في
السجلات ما يشير لذلك .

تنقسم السجلات الابلائية كما رأينا الى عدة انواع حسب موضوعاتها ، اولاهما
تاريخية سياسية ، كالنص (TM 75.G.2231)^(٨) الذي هو عبارة عن نص مدرسي
يحتوي (٢٨٩) اسما جغرافيا ، يعتبر نسخة عن نص سومري وجد في ابو الصلابيخ في

العراق ، قام بترجمته البرفسور بيغز Biggs (٩) يتميز النص الإبلائي بكماله وكونه اطلسا ممتازا لمنطقة الشرق القديم في عصره ، وبكونه مدونا بكتابة مسمارية مقطعية سهلة القراءة اذا ما قورنت مع السومرية التصويرية ، مما يجعل قراءة الاسماء اصح واسلم ، كذلك يفتح هذا النص مجالا مناسباً للدراسة اللغوية المقارنة بين السومرية والإبلائية ، وسنتطرق الى ذلك فيما بعد . في نصوص أخرى نجد العلاقات السياسية الإبلائية ، التي كانت ذات انماط متعددة ، منها علاقات مع مدن وممالك خاضعة للسيطرة الإبلائية المباشرة جاوز عددها السبع عشرة (١٠) ، وأخرى مع ممالك خاضعة للسيطرة الإبلائية غير المباشرة ، تقدم الجزية السنوية ويكون جيشها على استعداد دائم لخدمة التاج الإبلائي ، كمملكة ماري التي ما ان حاولت التمرد على هذا النوع من الاستعمار ، في عهد ملكها ايلول ، حتى ارسل ايرانيوم ملك إبلا جيشا جررا ، بقيادة انا - داکان ، اخضعها من جديد وقتل ملكها ، وعاقب شعبها بان ولى القائد الإبلائي نفسه عرشها (١١) ، وثالثها ممالك صديقة تربطها مع إبلا معاهدات دفاع مشترك ، كاشور .

النوع الثاني من السجلات اقتصادية ، كالنص (TM 75.6.1591) (١٢) الذي يتحدث عن مبادلات إبلا التجارية الواسعة ، ذكرت فيه أسماء (٧٨) مدينة كانت إبلا قد صدرت لها واستوردت منها ، أكثرها غير معروف لنا حاليا ، والنادر الذي عرف منها يدل على السعة الكبيرة جدا للعلاقات التجارية الإبلائية في عالم الشرق القديم .

ان هذا النوع من التنظيم الإداري لم يسبق له مثيل في بلاد الرافدين ، فاسماء المدن التي ذكرتها السجلات الإبلائية ، والتي كانت مجهولة تماما بالنسبة لنا ، تعد بالآلاف . ومن المدونات المهمة التي حوتها السجلات ، المدونات المدرسية ، التي كانت بمثابة وثائق لطلاب سيفقدون موظفين في الدولة ، لذا حرصت الدولة على ثقافتهم ، ونوعية معلوماتهم ، والاحتفاظ بمدوناتهم مهيورة باسمائهم واسماء معلمهم ، وحتى مدارسهم ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الوثائق مهمة جدا لمعرفة المعلومات التي كانت تقدم للطلاب الإبلائي ، والتي هي بالتالي خلاصة علوم عصره وحضارته .

بالإضافة الى الأنواع التي ذكرناها سابقا ، ضمت السجلات الملكية مدونات كثيرة ، منها ما يختص بعقود الملكية الزراعية ، والسقاية المائية ، والصناعات ، ونصوصا دينية واسطورية (١٣) ، بالإضافة الى المدونات الإدارية اليومية (١٤) .

كل ما ذكرناه عن السجلات الملكية الإبلائية ، هو حقيقي وسهل المعرفة سواء من حيث عددها ، ام من حيث مضمونها العام . ولكن تأريخ فترة تدوين هذه السجلات

ليست بالسهولة نفسها . وللوصول الى هذا الهدف هناك وسيلتان : اولاهما المخلفات الاثرية . وثانيتهما ، المخلفات الكتابية . بالنسبة للنهج الاول ، هناك الخزف الابلائي لمردوخ، ١٢ب١ IIB1 ، واختامه الاسطوانية ومخلفاته الفنية ، وكلها تمثل الذوق الشرقي في الفترة الاكادية ، مع احتفاظها بكثير من الميزات الخاصة (١٥) . بالنسبة الى السبيل الثاني ، وهو النصوص ، فلدينا في السجلات الابلائية دليل واحد اكيد حاليا ، وهو معاصرة ملك ماري ابلول للملك ابلأ ايرانيوم (١٦) . اما الدليل الثاني لتأريخ هذه النصوص ، فهو بقايا هديتين فرعونيتين كانتا قد ارسلتا للبلاط الابلائي ، اولاهما : قطعتان من بقايا كاس من الديوريت ، تحمل كل منهما سطرا من الكتابة الهيروغليفية ، حيث كتب اسمان من اعظم اسماء الفرعون الرابع من السلالة الرابعة ، منف ، والثانية غطاء وعاء مرمرى يحمل اللقب الاول للفرعون الثالث من السلالة السادسة بيبى الاول (١٧) . ولما كنا نعرف بالتحديد زمن حكم هذين الفرعونين يمكننا بالتالي تحديد فترة وصول هذه الهدايا للقصر الابلائي . ولكننا هنا نقف امام مشكلة تاريخية مهمة ، وهي معرفة طبيعة العلاقات الابلائية المصرية ، حيث ان النصوص المصرية لم تذكر ابلا الا كمدينة عبرها الفرعون تحوتمس الثالث ، في طريقه نحو الفرات (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) . اما نصوص ابلا فلم يعثر فيها حتى الان على ما يشير الى طبيعة علاقاتها مع مصر ، مع اننا امام دليل مادي على هذه العلاقة .

من المرجح ان يكون كأس الديوريت ، قد قدم هدية للبلاط الابلائي قبل وصول سلالة اكريش - خلم الى الحكم بعشرات السنين ، وحفظ في القصر كهدية ثمينة . اما الغطاء الرمرى الذي يحمل اسم بيبى الاول ، فيرجح انه نقل الى ابلا عن طريق وسيط ، وليس بشكل مباشر ، وما يدعونا لهذا الافتراض ، هو ما ذكر في السجلات الملكية الابلائية ، عن تصدير كميات هائلة من البضائع لجبيل (١٨) ، لا يعقل ان تكون لاستهلاكها المحلي ، بل لتنقلها بدورها الى مصر ، وجبيل خبرت التعامل مع البلاط الفرعوني ، وكانت دوما صلة الوصل ما بين مصر وسورية .

امام هذه المخلفات الفرعونية ، نقر بحقيقة مهمة ، وهي ان مملكة ابلا (سوية مردوخ ١٢ب١) ، لم تهدم قبل حكم بيبى الاول ، انما اثناء او بعد حكمه . وباجراء مقارنة زمنية بين حكم هذا الفرعون وملوك اكاد ، نستطيع القول ، بان نهاية القصر الملكى ج ، كانت على يد نارام - سن الاكادي ، داعمين قولنا هذا بالنصين اللذين ذكرناهما في بداية مقالنا هذا ، واللذين من خلالهما ومن خلال العديد من المعطيات التاريخية واللفوية الابلائية التي سنطرق لها فيما بعد ، نستطيع تماما تصور نهاية ابلا بقصرها وسلالتها الحاكمة على يد نارام - سن نحو ٢٢٥٠ ق . م .

قبل دخولنا في مجال دراسة اللغة الابلائية ، نود الاشارة الى الخطوط العريضة للمناقشات التي تعرضت لها نصوصها ، ففي الواقع عندما اكتشفت السجلات الابلائية كان ذلك حدثا مذهلا ، اولا لوفرتها بشكل لم يكن يتصوره أي باحث في هذا المجال ، وثانيا لكونها مكتوبة بكتابة مسمارية ، لم يجد علماء اللغات السامية ، بشكل عام ، صعوبة في قراءتها . وهنا اختلفت الاراء ، فمنهم من اعتبرها لهجة من اللهجات الاكادية ، كما كانت تعتبر لغة ماري سابقا ، وآخرون أصروا على ابتعادها عن الاكادية ، وتقاربها مع السامية الغربية ، أي الفينيقية والعبرية القديمة ، وآخرون ذهبوا لابتعاد من ذلك ، فجعلوها اصل العربية وقاربوها عن لغة عرب الجنوب ، حتى من الاثيوبيّة ، هذا الى جانب آراء أخرى اصرت على اعتبارها لغة سامية مستقلة تقترب من الاكادية والعومرية . وبين هؤلاء كان المنطقي والخيالي . واستخدم الصهاينة هذا الكشف استخداما رخيصا وصل بهم الى حد الادعاء بان ابراهيم عند عبوره (حسب قصة التوراة) من الرافدين لارض الميعاد ، مر بابلا واستقر بها لفترة ، وجعلوا من الابلائية عبرية قديمة ، ومن الملك اير يوم ابراهيم ، وما الى ذلك من ادعاءات بعيدة عن العلم والحقيقة ، واخذت الصحافة العالمية الصهيونية تروج لهذا النبأ ، لدرجة انها اتهمت سورية باخفاء النصوص وانكار الحقيقة .

كل هذا اثير عند بداية الكشف الابلائي ، ولكن حاليا ، وبعد مرور اكثر من عشر سنوات على هذا الاكتشاف ، اخذت آراء عديدة تقر بالحقيقة وتراجع عن اخطائها السابقة ، وكتب حول هذا الموضوع عديد من الخبراء ، وغدت الابلائية تدرس من قبل اهل الاختصاص بطرق علمية بحتة .

في الحقيقة ، اننا منذ بداية مقالنا هذا سمينا لغة إيلّا الابلائية ، لانها لغة مستقلة وليست لهجة اكادية ، او لهجة لغة أخرى ، وهذا ماسنحاول التعرف عليه في السطور اللاحقة .

ذكرنا سابقا ان السجلات الملكية الابلائية مكتوبة بالمسمارية المقطعية ، وهي في مظهرها العام تشبه السومرية اكثر من الاكادية ، اذ انها مكتوبة باعمدة ضيقة جدا ، وزوايا الرمز المسماري حادة وطويلة وغير مملوءة القمة ، وهي طريقة اتبعت في نصوص فارة وابو الصلابيخ السومرية ، هذا وان استعمالها للرموز السومرية يدل على انها لغة ذات مؤشرات صوتية اكثرها من سواها (١٩) . أما ترتيب الرموز فيها فيتبع العناصر اللغوية (٢٠) ، وهذا ما اتبع في النصوص الاكادية القديمة (ما قبل الفرعونية) ، ونصوص فارة وابو الصلابيخ ، وكذلك نصوص لاغاش في عهد اياناتوم ، وفي اوما في عهد لوكال زاكيزي . ولعله من المفيد ان نذكر هنا انه غدا من المرجح ان النصوص

المدرسية التي اكتشفت في ابو الصلابيخ وفارة ممهورة بالعديد من الاسماء السامية، ترد حاليا الى طلبة ابلائين ارسلوا ببعثات دراسية الى هاتين المدينتين ليعودوا اساتذة في بلادهم (٢١) ، فالعلاقات الثقافية في ذلك العهد البعيد كانت متطورة . اكثر من حدود تصورنا .

عندما درس البرفسور بيفز هذه الاسماء ، واكد انها سامية وليس سومرية ، اعتبرت لغزا محيرا ، اذ انها كتبت في فترة لم تكن فيها اكاد قد نشأت بعد ، وهنا تجدر الإشارة للملاحظة هامة ، وهي انه غدا واضحا عن طريقة الكتابة الابلائية وعلاقاتها الطيبة مع السومريين ، ان إبلا اقدم نشأة وبناء من أكاد ، وهكذا كانت تستقي من معين سومر العريق والمتطور ، مع المحافظة على منابعها الخاصة ، مما جعل الحضارة الابلائية ، على كافة الاصعدة ، تسبق عصرها في كثير من الاحيان .



وماذا عن خصائص اللغة الابلائية .. (.) . بدىء بدراسة اللغة الابلائية منذ العثور عليها ، وأول من فعل ذلك هو البرفسور بيتناتو ، الذي كان لغوي البعثة الإيطالية (٢٢) ، ثم درسها البرفسور الاميركي جلب (٢٣) ، وتلا ذلك تشكيل لجنة دولية مؤلفة من عشرة اعضاء . وسنحاول هنا التعرف على خصائص هذه اللغة .

الفعل : الافعال متوافرة بكثرة في اللغة الابلائية ، واليكم بعضها منها ، كما اوردها بيتناتو في ترجماته : جنفار دامو = Jinḫar-Damu داموا مصاب ، جيبخور ملك = Jipḫur-malik ملك قد حصد ، جيشمع ال = Jisma-il هو يسمع ، جيدين كاميش = Jiddiḫ-Kamiš كاميش قد اعطى ، جيبسورني = Jipturni هو قد حررني أو حررنا .. الخ .

من الملاحظ ان الافعال السابقة ، قد بدأت بمقطع سبق الفعل ، للمفرد المذكور الغائب ، وكانت جي Ji ، وانها جميعا على وزن جيكتل Jigtul فهل هذا الوزن يدل على زمن الفعل ، أو مظهر من مظاهره ، اذا كانت الحالة الاولى فالفعل في الماضي ، فكيف يقاس المضارع او المستقبل منه واذا كان مظهرا من مظاهره فاين الفعل التام والفعل الناقص ..

يجمع بيتناتو وجلب على اعتبار جيكتل Jigtul كزمن الفعل الماضي ، كما هو

الحال في كتب Ktub = كتب ، وعليه يجب ان يكون المضارع والمستقبل على زمن جيكتيول Jiqqat/i/ul أي باضافة ياء المضارعة ، كما هو الحال في الاكادية، وعليه وزن بيتناتو الفعل الماضي على كتل qatal وعلى وزنها = qatab = كتب ، وهذا ما يجعلها تتوافق مع اللغات السامية الغربية ، هذه النقطة لم تؤكد بعد وما زالت قيد المناقشة .

مصدران فقط عرفا حتى الان في الابلائية هما اخذوم = âhazum خطف او حجز (٢٤) ، ومخزيدا mahazida ضرب (٢٥) .

الاسم : في دراسة الاسماء يفضل دوما اللجوء الى الاسماء الشخصية ، حيث ان الدراسة اللغوية من خلال الاسماء ، تختلف عن تلك التي تتم من خلال النصوص ، وتعطي دوما نتائج اسلم .

لقد عرف الابلائيون نوعي الاسم : المذكر والمؤنث ، و اضافوا للاسم المذكر لاحقة اوم (um) ولل اسم المؤنث لاحقة توم (tum) ، كما في ملكوم = malikum = ملك ، وملكثوم = malikatum = ملكة ، وكما في تيهاماتوم = Tihamatum المحيط المنخفض (مذكر) وفي مبشتوم = mupûstum = حياة (مؤنث) .

الفاعل : للفاعل اضيف لاحقة يو (u) ، كما ورد في اسماء احد عشر تلميذا في اللوائح المدرسية (٢٦) . واما اسماء الملوك فقد اضيف لها في اخرها ا (a) او ك (Q) كما هو الحال في الاكادية القديمة ، وكتبت اسماء الالهة على الشكل التالي : دكان كنانيم Dagan Kama naim دجن الكنعاني ، وهنا كنانيم هو اسم ارض كنعان ، تقاربها في العربية كنانة .

الضمائر الشخصية المنفصلة : انا (ana) وهو ضمير المتكلم المفرد ، كما في المثال = A'na malik = انا ملك ، يظهر هذا الضمير في اللغة العمورية بينما يندر استعماله في الاكادية ، وانا واني تستعمل كضمير متكلم في العديد من اللغات السامية الشمالية كذلك (٢٧) .

انت = anta أنت : ضمير المخاطب المذكر المفرد ، تاتي بهذا الشكل في حالة الفاعل ، وكواتي Kuwati في حالة المفعول به ، اما في حالة الجمع فهي امانو = amanu أنتم ، وفي الاكادية استعملت كذلك كواتي كمفعول به وشواتي أيضا Suwati واستعملت شوا = Suwa هو وشواتي ، كضمير المفرد الغائب ، وللفاعل تستعمل شوا Su-wa ولل مفعول به شواتي .

الضمائر الشخصية المتصلة : وهي على نوعين ، نوع يستعمل مع الاسماء ، واخر مع الافعال . مع الاسماء : هي النون والياء ، فالياء استعملت لاحقة الشخص المتكلم ، كما في توبي ديلو Tūbī-Dilu = ديلو هي إلهتي ، ومن الجدير بالذكر ان هذه اللاحقة مشتركة في جميع اللغات السامية . نا أو ني ، هي لاحقة الجمع المتكلم كما في المثال ريمًا حادا Rima-Hadda = حادا كاهننا ، عبدني E' bduni = عبدنا (٢٨) .

شو Šu : لاحقة المذكر المفرد الغائب ، وتكتب سود او شو SuD او Šu هذه اللاحقة لوحظت ايضا في نصوص ماري ما قبل الصرغونية ، والاكادية وليس في العمورية والاوغاريتية والعبرية (٢٩) .

مع الافعال : الضمير المتصل بالافعال هو ني (ni) سواء في حالة المفرد ام الجمع ، مثال جيبني ليم Jibbi'ni - lim = ليم دعاني او دعاننا ، جيسورني Jipturni = هو اعتقني او اعتقنا ، هذا الاستخدام وارد كذلك في العربية والعمورية ني - نا .

أداة الإشارة : في الابلائية اميجيوم amijum (٣٠) = هذا وهذه ، هذه الاداة تاخر ظهورها في اللغات السامية الاخرى ، حتى الالف الثاني قبل الميلاد ، فهي في الاشورية مثلا انجيوم annijum ومعناها هذه .

أداة النسبة : هي شي si (٣١) ، يماثلها شا - شو - شي ša - šu - ši في الاكادية القديمة والعمورية ، اما في لغة ماري في عهد سلالة أور الثالثة ، فهي سا - سي - شو sa - si - šu (٣٢) ، وفي استعمالاتها لا يوجد فرق واضح مع الجنس او العدد .

أداة الاستفهام : هي مي mi (mi) = من او ما ، كما في المثال مي - كا - ال mn-ga'il = من يحب إل ، ان ما الاستفهامية في الابلائية ، تماثل ما الاوغاريتية والعبرية القديمة والمارية (ما قبل الصرغونية) ، ولكنها تختلف عنها في الاكادية والعمورية فتكون من man = من العربية .

أداة التذكير : هي ميناناما mi nana ma = أي شيء ، وهي ترد هكذا في النصوص الابلائية (٣٣)

أداة العطف : استعمل في الابلائية حرف الواو (W) للعطف ، وقد يستخدم بمعنى لام العطف ، كما في المثال وياتا W/yta = يعطى ، وتستخدم بنفس المعنى وا (wa) .

اداة التشبيه : هي كا (Ka) ، ولها نفس الاستعمال في العربية مثال : ميكال Mika'il من مثله .

ادوات الجر : إن (In) = في وداخل ، وهي مستعملة كذلك في الاكادية الكلاسيكية والبابلية ، ونصوص ماري (ما قبل الصرغونية) وكذلك في نصوص ماري التي تعود لفترة اور الثالثة ، اما في الاشورية القديمة فقد استعملت قبل الاسم الذي يبدأ بحرف ساكن ، واستعملت انا i-na قبل الاسم الذي يبدأ بحرف صوتي .

انا i-na من او الى ، كما في المثال انا بلي سو i-na-be-li-su الى سيده ، وانا نستطيع قراءتها كذلك في التعويذات التي وجدت في ماري ، والعائدة للفترة ما قبل الصرغونية (٢٤) ، وكذلك عرفت في نصوص فارة . ومن الجدير بالذكر ان انا i-na هي ليست انا a-na = ان المعروفة في اللغات السامية الاخرى .

اش iš = الى - لان ، هي معروفة في اللغة الاكادية ، ولكنها كانت تستعمل في نهاية الكلمة ، وقد استعملت في الفترة الصرغونية مع الاشياء الصغيرة مثال كاتيش qâtiš = الى اليد ، او مع الحال ، كما في ارخيش arhiš = سريع ، اما استعمالها كأداة جر قبل الكلمة ، فهذا ما تفردت به اللغة الابلائية عن أية لغة سامية (٢٥) .

اش - دا ās-da = مع او من حيث ، وعرفت هذه الاداة في الاكادية الصرغونية ، وكذلك اشتو ištu مع ، واشتوم ištum = بعد ، اما كما وردت في الابلائية ، فلم تعرف الا في ندرة من النصوص الادبية البابلية واللغات السامية الاخرى ، دقيقة من جهة ، وغير دقيقة من جهة اخرى ، فما ذكرناه من المقارنات بين الابلائية والسومرية والاكادية ، ولغة ماري ما قبل الصرغونية دقيق ومنطقي ، وذلك لتعايش هذه اللغات وتعاصرها ، ولاحقا سنجري مقارنة اوسع ما بين لغتي ابلا وماري ، واما المقارنة ما بين الابلائية والاوغاريتية والعمورية والعبرية ، وهي لغات بعيدة عنها في الزمن ، فهو ابعد عن الدقة .

فماذا عن اللغة الابلائية ولغة ماري القديمة (ما قبل الصرغونية) ؟ كنا قد ذكرنا سابقا ، بان ماري قد خضعت للحكم الابلائي في فترة من فترات تاريخها القديم ، وخضعت من جهة اخرى مرارا للسيطرة الرافدية ، واعتبرت لغتها ، حتى الكشف الابلائية ، لهجة اكادية لها العديد من الميزات ، اذ كانت ابلا في ذلك الوقت مجهولة يها ، ولكن في نصوص ماري التي درست نلاحظ قسمين : احدهما الحديث ، اي

الذي دونت به السجلات الملكية (٢٦) ، والذي يعود للفترة العمورية وعهد سلالة ليم ، وهم القسم الذي اعتبر لهجة اكادية - بابلية . اما القسم الثاني ، فهو النصوص القديمة التي تعود للفترة الاكادية والسومرية والتي كانت عبارة عن بعض النصوص الاقتصادية (٢٧) ، والتعويذات ، وبعض نصوص هبات مقدمة لمعبد الالهة عشتار .

هذه النصوص ليست بلهجة اكادية او بابلية ، وانما نصوص تمت للابلائية بصلات هامة كما سنلاحظ بعد مقارنتهما ، فقد استعملت اداة الجراش $i\bar{s}$ من او الى ، التي تفردت بها الابلائية كما لاحظنا ، كما استعمل ضمير المفرد المذكر الغائب سود او شو $ns-dns$ ، في النصوص المارية العائدة لعهد الملك ايلول (٢٨) ، كما تعرف في الابلائية والاكادية القديمة ، وفي لغة ماري القديمة . استخدمت بعض المقاطع كأفعال ، كما في المقطع سك ريك $Sag-Rig\bar{z}$ هو اعطى تعويذة ، وفي إي - جوب $i-Gub$ = هو ينهض (٢٩) ، وهذا ماعرف في التقاليد الكيشية في الكتابة ، وفي ابلا كذلك . ميزة اخرى مشتركة بين ابلا وماري ، استعمال بعض المقاطع السومرية النادرة الاستعمال مثال دول تمثال ، واب + اش $AB+AS$ شاهد .. الخ .

اذا اردنا اعتبار لغة ماري القديمة اكادية ، فلماذا كتب اسم ابن الملك ايلول ممخارسو ومعناها (من الذي يناوؤه) على الشكل التالي $Mim-m\bar{a}-h\bar{i}r-s\bar{u}$ ولم يكتب كما كان يجب ان يكون بالاكادية : مينما خرسو $Min-ma-h\bar{i}rs\bar{u}$ لقد استعملت الميم محل النون (٤٠) .

وانها لكثيرة ملامح التشابه بين لغتي ماري (ما قبل الصرغونية) والابلائية ، فلدينا مثلا نظام السنين السبعي او الثماني ، وكذلك تسميات الالهة ، وتسميات شهور السنة وترتيبها ، وكلها تشابهت في البلدين وتشابهت مع التسميات السومرية في نصوص أبو الصلابيخ ، وعليه فمن المفيد هنا الاشارة الى ان الفكرة القائلة بان نصوص ماري (ما قبل الصرغونية) سومرية ، تبذرت الان ، فعديدة هي نقاط التباعد وان كان لابد للحضارات أن يكتسب بعضها من بعض .

ونلخص ما سبق فنشير الى عدة نقاط مهمة ، اولا : لا يمكن اعتبار الابلائية لهجة اكادية ، وذلك لان هذه الاعداد الضخمة من النصوص كتبت في وقت لم يكن فيه الاكادية لغة الشرق القديم ، كما تميزت الابلائية عن الاكادية بكثير من نواحيها في كثير من النواحي .

ثانيا : لا يمكن اعتبار الابلائية عمورية ، حيث تنفصل بنفسها ، مثالا على ذلك

صبارة (من يشبهه) في الإبلائية هي مي كا ال Mika-'il ، وفي العمورية هي مينوكي ال Mannu-Ki-'il

ثالثا : الإبلائية لا يمكن اعتبارها كنعانية ، خلافا لما حاول بيتناتو ادعاءه ، ونحن لن نؤغل في هذه الادعاءات ، التي غدت في عداد المرفوضات ، ورد عليها فكرة فكرة اللغوي الإيطالي أركي (٤١) ، والكثير من علماء الآشوريات . فاللغة الإبلائية تتباين تماما في نظام حروفها الصوتية عن الكنعانية ، فكلمة عبد في الإبلائية والأكادية تأخذ حرفين (الالف والعين) أي تكتب ابدو abdu وعبدو ebdu ، بينما تحافظ على لفظة واحدة في الكنعانية فهي عبد ebed فالحرفان أع يتميزان تماما في الكنعانية .

كالعبرية مثلا ، اما في الأكادية والإبلائية فلا يتميزان ، وبهذا لا يكن مطلقا اعتبار الإبلائية هي الكنعانية القديمة (٤٢) .

اخيرا نقول ، ان دراسة لغة قديمة كالإبلائية ووضع قواعد ثابتة محددة لها لم يزل بعيد المنال ، ويحتاج من علماء الساميات لكثير من الجهد ، وخاصة في عملية تحديد قواعدها وتفريقها عن الأكادية ، واما ايجاد مكان ترتيبيها بين اللغات السامية الشرقية ، فهو امر ما زال موضع نقاش ، وباختصار ، نستطيع القول بان الإبلائية يجب ان تضاف لعائلة اللغات السامية كواحدة منها ، قريبة من الأكادية والعمورية ، تفرعت عنها لغة ماري في احد الايام ، وكل معطيات الحضارة الإبلائية هذا الموضوع لا يزال بحاجة للكثير من الوقت .

الحواشي :

- (1) Parrot, A., **Mari Capitale Fabuleuse**, 1974.
- (2) Finet, A., « Les Temples Sumériens du Tell Kannâs », **Syria**, L II, 1975, pp. 157 - 174 .
- (3) Kupper, JP . et Sollberger, E., **Inscriptions Royales Sumériennes et Akkadiennes**, 1971, pp. 79 - 114.
IV 17.35. في هذا المؤلف راجع النص :
- (4) I₁ - II , 28 . المرجع نفسه ، النص :
- (5) Freedman, DN., « The Nuzi Ebla », **BIBR**. XL/1, 1977, pp.32-33.
- (6) Mattiae, P., « Ebla à l'Epoque d'Akkad », **CRAIB**, 1976, pp. 190-215.
- (7) Mattiae, P., « Tell Mardikh, The Archives and Palace », **J.Archaeology**, XXX/4, 1977, pp. 244-253.
- (8) Pettinato, G. , « L' Atlante Géografica del Vicine Oriente antica attestato ad Ebla e ad Abu Salabikh , » **Orientalia**, 47 / 1, 1978, pp. 50 - 73 .
- (9) Biggs, RD ., « The Abû Sâlabakh tablets - Apreliminary survey » , **Cuneiform studies**, XX/2, 1966, pp. 73-88.
- (10) انظر المرجع رقم ٨
- (11) Pettinato, G., « Relations entre les Royaumes d'Ebla et de Mari au troisième millénaire d'après les archives royales de Tell - Mardikh - Ebla », **Akkadica** II, 1977, pp. 20-29.
- (12) انظر المرجع رقم ٨
- (13) Archi, A., « Diffusione del culto DI' NI - DA-KUL, » **SEB** I/7-8, 1979, pp. 105 - 113 .
- (14) Archi, A., « An administrative practice and the Sabbatical year at Ebla », **SEB** 1/5-6, 1979 pp.91-95,
- (15) Mattiae, P., « Preliminary remarks on the royal palace of Ebla » , **Syro - mesopotamian Studies**, 1978/II.
- (16) (TM 75. G. 2367) انظر : المرجع ١١ ، الوثيقة رقم
- (17) Mattiae, P. , « Tell Mardikh : Ancient Ebla, » **AJA** , 1982 / 2 , pp. 540 - 543 .
- (18) Archi, A. , « Notes on eblaite geography , » **SEB**, 1980/ I, pp. 1-10.
- (19) Fronzaroli, P., « Problemi di fonetica eblaïta , I » **SEB** I/5-6, 1979, pp. 65 - 89 .

- (20) Pettinato, G., « Testi Cuneiformi del 3e millenario in paleocananeo rinvenuti nella campagna 1974, Tell Mardihk - Ebla , » **Orientalia**, XLIV, 1975, pp. 361 - 374.

في هذا المقال راجع صفحة ٣٣٦

- (21) Biggs, R.D., « Semitic Names in the Fara period » **Orientalia**, 36, 1967, pp. 55-56 .

- (22) Op. Cit., 20 .

- (23) Geld, i.J., « Thought about Ebla , » **Syro - Mesopotamian studies** , 1978 / I .

- (24) انظر : المرجع ١٩ ، ص ٣٧٢

- (25) Pettinato, G., « The Royal archives of the Tell Mardikh - Ebla, » **Bar**, 39/2, 1976 , pp. 44-53 .
 راحم في هذا المقال . هـ

راجع في هذا المقال ص ٥

- (26) الامثلة التي نوردها مستمدة من ترجمات بيتانوف في المرجعين ٢٥١٩

- راجع المقال في المرجع ٢٣

- (28) Archi, A., « Ancora su Ebla e la Bibbia », **SEB** II/2-3, 1980, pp.17-39.

- (29) المرجع ٢٣ ، ص ١٩-٢٠

- (30) المرجع ٢٠ ، ص ٣٧.

- (31) المرجع ٢٠ ، ص ٣٧٢

- (32) Linet, A., « Observations sur la grammaire des anciennes tablettes de Mari », *Syria*, L II, 1975, pp. 37-52.

- (33) انظر : المرجع ٢٥ ص ٥.

- (34) Dossin, G., « Les Inscriptions des temples de Ninni - Zaza et de (G) Istarat, » **MAM** / III, 1967 pp. 307 - 331.

- (35) انظر المرجع ٢٢ ص ٢٢

- (36) وثائق ماري الملكية منشورة في عدة مجلدات ، نشرتها البعثة الأثرية الفرنسية التي عملت بموقع ماري برئاسة البرفيسور اندرية بارو (A.Parrot) تحت اسم (Archives Royales de Mari)

كما درست هذه الوثائق ايضا في جولية (Syria) الفرنسية .

- (37) Jestin, R., « Textes économiques de Mari, (III^e dynastie d'Ur) », **R.A.**, XL VI, 1952, pp. 185 - 202.

- (38) Sollberger, E., « Lost inscriptions from Mari » XVe, **RAI**, 1967 , pp. 103 - 107.

- (39) انظر : المرجع ٣٤

- (40) انظر : المرجع ٢٣ ص ١١

- (41) انظر : المرجع ٢٨

- (42) انظر : المرجع ٢٣ ص ٢٦